الفصل الثامن

دار المعارف.. الحاضر وآفاق المستقبل

لا شك أن مؤسسة دار المعارف الآن، واحدة من كبريات المؤسسات المعنية بالنشر والطباعة والأنشطة المتصلة بها، ليس فى مصر وحدها ولكن فى العالم العربى كله. وبالرغم من ظروف كثيرة ومعوقات صعبة وتحديات جسيمة واجهت المؤسسة وما تزال، فإنها قادرة بعون الله على مواجهتها وتجاوزها، خصوصا إذا كانت الإدارة القائمة واعية ومدركة لهذه التحديات، وقررت بشجاعة أن تسير على الأشواك وتواجه المنغصات وتتحدى الصعاب، فتقدم على القرارات الجريئة والإجراءات اللازمة لتعضيد وضع المؤسسة والتغلب على المشكلات التى تواجهها والانطلاق بها نحو آفاق واعدة واستعادة مكانتها الزاهرة واحتلالها دائما، كما كانت، قمة مجال النشر والطباعة فى العالم العربى.

ولكى لا يكون الكلام مجردا من دلائله وعاريا عن شواهده، فإن هذا الفصل يرصد مجموعة من المسارات والإجراءات وكذلك المشروعات التى تنتهجها إدارة المؤسسة الحالية برئاسة الأستاذ سعيد عبده، لاستعادة مجد دار المعارف ووضعها فى مكانتها اللائقة مصريا وعربيا، وأن تكون شريكا ومنافسا فاعلا فى سوق النشر العربية.

وبالتزامن مع الاحتفال بمرور ١٢٥ عاما على إنشاء المؤسسة العريقة (دار المعارف)، كأول دار نشر فى الوطن العربى ورابع دار نشر على مستوى العالم، يحلم القائمون على المؤسسة، بل يطمحون ويسعون فعليا إلى اقتحام صناعة النشر الإلكترونى ليكون للدار بصمة وتواجد بل مساحة من السوق تتواءم مع اسم هذه المؤسسة، ولهذا، وبالتعاون مع معالى الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان وزير الثقافة والشباب وتنمية المجتمع الإماراتى، وفى إطار بروتوكول تعاون مشترك لمدة خمس سنوات به العديد من نواحى التعاون فى مجال الثقافة وعلى رأسها النشر الإلكترونى، جار حاليا إنشاء (مركز زايد للنشر) لهذا الغرض بدعم من مؤسسة زايد الخيرية.

يأتى إنشاء هذا المركز الضخم ليكون نافذة جديدة فى عالم النشر الإلكترونى للكتاب العربى بصفة عامة، وليس لدار المعارف فحسب، بل لكل الناشرين المصريين والعرب لتكون الثروة الفكرية لدور النشر فى العالم العربى ومصر بصفة خاصة متاحة على منصة مصرية خالصة. ولن يكون هذا المشروع، على ضخامته، هو المشروع الوحيد فى هذا الإطار، فهناك العديد من مشروعات التعاون الأخرى مع دولة الإمارات الشقيقة التى لا تألو جهدا فى دعم الثقافة ورسالة دار المعارف.

وقد سبق هذا الإنجاز بقليل، الاتفاق على التعاون المثمر بين المؤسسة وبين وزارة الثقافة الإماراتية، كان من ثماره الرائعة إعادة إصدار أكثر من ٤٥٠ كتابا من كنوز دار المعارف، وإصدار

٢٠ كتابا للأدباء الشباب بالإمارات، بدعم وافر من أبناء الشيخ زايد (عليه رحمة الله)، وكم لهذا الرجل "زايد الخير" وأبنائه البررة من أياد بيضاء ناصعة ليس فى إطار هذه المشروعات التنموية فقط، بل على الثقافة العربية كلها.

ففى إبريل من العام الحالى، وقعت وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع الإماراتية بحضور معالى الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان وزير الثقافة والشباب وتنمية المجتمع مذكرة تفاهم مع مؤسسة "دار المعارف" لإعادة نشر وطباعة إصدارات المؤسسة التى قامت بطباعة عدد كبير من أمهات الكتب، كما أثرت المكتبة العربية بنشر العديد من أعمال كبار الكتاب على مدار ١٢٥ عاما.

وجاءت مذكرة التفاهم حرصا من الطرفين على تعزيز الهوية العربية الإسلامية والحفاظ على اللغة العربية وتقديم الثقافة التى تبنى المجتمعات وتنهض بها، وتحقيق التعايش بين البشر فى تحضر وسلام وانفتاح على العالم ورغبة فى توطيد أواصر العلاقات بين الشقيقتين العربيتين، الإمارات ومصر، وتحقيقا لرؤية القيادة الرشيدة فى الدولة التى تعمل بكل عزم وإخلاص على دعم المؤسسات المصرية وتمكينها من أداء دورها العربى والإسلامى. وقع هذه الاتفاقية عن وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع سعادة عفراء الصابرى وكيلة الوزارة فيما وقعها من جانب مؤسسة دار المعارف المصرية، الدكتور حسن أبوطالب رئيس مجلس الإدارة السابق، بحضور سعادة أحمد شبيب الظاهرى مدير عام مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية وعدد من قيادات موظفى الوزارة.

أيضا، وفى إطار التعاون العربى تم توقيع عقد وكالة مع مكتبة «العبيكان» للنشر بالمملكة العربية السعودية لتسويق إصداراتهم بمصر من خلال مكتبات دار المعارف بحضور مدير عام الشركة ووفد مرافق له، كما سيتم قريبا افتتاح مكتبة

الإسماعيلية كأحدث فروع المؤسسة لخدمة القارئ هناك.

كل ذلك بموازاة تنشيط دور المركز العربى للبحوث والإدارة "آراك"، أول مركز بحثى عمل على تطوير المحتوى وتدريب العاملين فى الإدارات والقطاعات المختلفة، وتنمية مهاراتهم لمواكبة العصر بقفزاته المتسارعة وطفراته المعرفية غير المسبوقة.

ولا تغفل مؤسسة دار المعارف تحديث وتطوير نوافذها الإلكترونية التى تتواصل بها ومن خلالها مع جمهور عريض، وجديد، من الأجيال الشابة، خاصة فى ما يتصل بنشاط الموقع الإلكترونى الرسمى لدار المعارف، الذى سيشهد خلال الفترة المقبلة طفرة كبيرة، سيكون من نواتجها دعم نشاطه الأصلى فى نشر المحتوى الثقافى العربى فى شكل عمليات بيع للكتب والإسطوانات والشرائط (المرئية والمسموعة) والمواد الإلكترونية (المجانى منها وغير المجانى) وضمان وصولها إلى القارئ فى أسرع وقت ممكن وبأقل تكلفة ممكنة.

وقبل عامين، كان مجلس إدارة دار المعارف قد قرر الموافقة على إطلاق بوابتى «أكتوبر» و«دار المعارف» الإلكترونيتين، وكل منهما له مجاله وتخصصه، وهما مشروعان واعدان سيحققان انطلاقة كبرى ودفعة قوية للدار ولمجلة أكتوبر، ينتظر إطلاقهما فى غضون الفترة القليلة المقبلة، ليضيفا إضافة هائلة وداعمة لمسيرة النشر والصحافة والإعلام فى مصر والعالم العربى.

من ناحية أخرى، وعبر ثلاثة مسارات متوازية ومتقاطعة، وبالاعتماد على ما كانت تمتلكه - ومازالت دار المعارف من ثروة بشرية تعد الأفضل فى مجالات الطباعة والنشر، فالكتب الصادرة عن دار المعارف هى الأفضل من حيث دقة المحتوى وصحته لغويا وجمال شكله، فضلا عن حسن إخراجه، تسعى المؤسسة إلى تحديث القطاعات الأساسية التى تقوم عليها أى دار للنشر؛ وهى:

قطاع النشر، قطاع التسويق بجناحيه الداخلى والخارجى، وقطاع المطابع الشريان التاجى الذى يمد القطاعين السابقين بثمرات إنتاجه. وفى القطاعات الثلاثة تسير حركة متسارعة ونشطة لتحديثها وتطويرها بصورة غير مسبوقة، من خلال حزمة من الإجراءات والتعاقدات الجديدة، أفصح الأستاذ سعيد عبده عن بعضها على هامش الاحتفال بمرور مائة وخمسة وعشرين عاما على تأسيس الدار.

يقول "لدينا حلم للمستقبل قد يكون صعبا، ولكن ليس بالمستحيل، فالأحلام ما دام وراءها رجال قادرون على العمل لا بد أن تتحقق بإذن الله".

وكل يوم يقدم فريق العمل بدار المعارف الجديد فى مسيرة التطور والتحديث فى قطاعات وإدارات المؤسسة كافة.

أولا: قطاع التسويق وإدارة المعارض:

يشهد هذا القطاع طفرة هائلة فى ظل التحديثات القائمة والمستهدفة خلال الفترة القادمة، مع السعى لزيادة عدد منافذ البيع ومكتبات الدار التى تنتشر بطول الجمهورية وعرضها؛ إذ يدخل تحت هذه الإدارة كل مناطق البيع فى كل من: القاهرة والإسكندرية وأسيوط وقنا وسوهاج وأسوان وطنطا والمنصورة والزقايق والسويس والعريش وأخيرا الإسماعيلية.

وتتبع إدارة التسويق الرئيسية أربع إدارات فرعية موزعة على مناطق الجمهورية، وهى: منطقة القاهرة بالفجالة، منطقة الإسكندرية بشارع سعد زغلول، منطقة الزقازيق بميدان المنتزه، ومنطقة أسيوط بعمارة الأوقاف رقم (٣).

وحاليا، تمتلك دار المعارف واحدا وعشرين منفذا للبيع بجميع محافظات الجمهورية، وسيتم افتتاح الفرع الثانى والعشرين بمحافظة الإسماعيلية خلال فترة وجيزة. تضم منطقة القاهرة وحدها ست مكتبات كبرى، تتوزع كالتالى: فرع عبد الخالق

مكتبة دار المعارف بالسيدة زينب

ثروت، فرع الفجالة برمسيس، فرع المبتديان بالسيدة زينب، فرع شبرا، وأخيرا فرع ماسبيرو الملاصق للمبنى الرئيسى لدار المعارف على كورنيش النيل.

وتضم منطقة الإسكندرية مكتبتين رئيسيتين؛ هما: مكتبة سعد زغلول، ومكتبة التحرير.

وتضم منطقة الزقايق ثلاث مكتبات: مكتبة الزقازيق القديمة، مكتبة الزقازيق الجديدة، ومعرض كلية الهندسة.

وتأتى منطقة الإسماعيلية برصيد مكتبتين؛ الأولى بنادى الشجرة، والثانية هى المكتبة الأحدث التى سيتم افتتاحها بمناسبة مرور ١٢٥ سنة على تأسيس دار المعارف، لتنضم إلى أخواتها من مكتبات وفروع الدار. وتضم منطقة العريش مكتبة واحدة، أمام قسم العريش.

تتحدد استراتيجية هذه الإدارة المحورية فى حزمة من الأهداف التى تعتبرها دستورا وغاية تسعى إلى تحقيقها وتتفانى فى الوصول إليها، أوجزتها الإدارة المسؤولة عن هذا الشريان الحيوى فى الأهداف الستة الآتية:

أولا: عميلنا دائما على حق، ولذلك نسعى إليه دائما ونكون فى خدمته دوما.

ثانيا: العميل عندنا أهم كثيرا من الصفقة المعقودة، ولذلك نتمسك دائما بالصدق والشفافية فى أى تعاملات تتم أو تجرى مع العميل بيعا أو شراء أو توزيعا.

ثالثا: خدمة البيع لدينا ليست "شطارة" لكنها "مهارة" تعتمد على العرض الجيد والمعاملة اللائقة وطرق الدعاية والإعلان الجاذبة.

رابعا: نؤمن بالمنافسة الشريفة، البناءة، المنتجة، ونسعد دائما بالمنافس الناجح، نتعلم منه ونفيد من مزاياه ومهاراته، ونتلافى أخطاءه وعيوبه.

خامسا: الانتظام والوضوح فى التعاملات المالية، سواء فى التوريد أو التحصيل أو المبادلة، فتحصيل ما لنا لدى عملائنا يتم بكل احترام وتوقير، مع الالتزام الكامل بالسداد حسب التوقيتات المحددة فى حال وجود أى مستحقات أو متأخرات واجبة السداد، فخير طريق للاحتفاظ بالعملاء هو الصدق والوضوح والالتزام الكامل بما لنا أو علينا.

سادسا: تحرص الإدارة على مشاركة عملائها فى كل ما يخصهم من مناسبات عامة أو خاصة، لأنهم الرصيد الذى تفخر به دار المعارف فى كل تعاملاتها داخل مصر أو خارجها.

وأرادت إدارة التسويق والمعارض بالدار أن تبلور هذه الأهداف فى عدد من الشعارات الترويجية، التى استقت أغلبها من تاريخ الدار ومنجزاتها الكبيرة خاصة فى فترة الخمسينيات والستينيات، ومنها:

(خذ المعارف من دار المعارف، بأسلوب اليوم وتفكير الغد، النشر رسالتنا والطباعة صناعتنا، نتائج المعارف دوائر المعارف.. إلخ).

وتختص إدارة المشتروات (كتب الغير) بتدبير احتياجات كتب التسويق من كتب الغير المحلية، بأفضل الشروط مقابل عمولة محددة يتم الاتفاق عليها مع الموردين، وكذلك تختص بعقد اتفاقات كتب المبادلة مع الغير، وتوزيع كتب الغير على المناطق والمكتبات، وكذلك تنفيذ الطلبات التى ترد إليها من جهاز البيع والمكتبات فى حدود القواعد الموضوعة، وأخيرا تنفيذ المرتجعات وتزويد المكتبات بالإصدارات والكتب الحديثة.

أما إدارة (الاستيراد)، فتختص هذه الإدارة باستيراد الكتب بقصد الإتجار بها عن طريق عرضها بالمكتبات والمعارض.

ثم تأتى إدارة التسويق الخارجى (التصدير)، وتختص هذه الإدارة بتسويق كتب الإدارة ومطبوعاتها وغيرها من منشورات الغير بالأسواق الخارجية، وعلى وجه الخصوص، فى البلاد العربية والإسلامية والإفريقية عن طريق المعارض المقامة دوريا بهذه الدول. ومن أهم اختصاصات هذه الإدارة وأدقها هو التصدى لتزوير كتب الدار ومتابعة السرقات التى تكتشفها لتزوير كتب المؤسسة والعمل على منع هذا الفعل اللا أخلاقى.

وأخيرا، تأتى إدارة (المخازن) أو التخزين، وهى المختصة بمتابعة التوزيع من الناحية التنفيذية التى تبدأ من وقت وصول الأصناف إلى المخازن وتسلمها إلى وقت صرفها، وتتضمن مسئولياتها أيضا فحص الأصناف وتسلمها بشكل صحيح وسليم فنيا وقانونيا، طبقا للمواصفات والقواعد الموضوعة، ثم المحافظة عليها وصيانتها أثناء التخزين، ولحين إعادة توزيعها مرة أخرى.

لدار المعارف عدة مخازن كبرى موزعة على مناطق الجمهورية، منها مخازن أدوات بمهمشة، ومخزن كتب الغير بمهمشة أيضا، ومخزن الوراق الرزم بالزاوية الحمراء، ومخزن المطابع بالمبنى الجديد، ومخزن أكتوبر البديل عن مخزن قليوب، و يحتوى على مخزون الورق اللفات، بالإضافة إلى مخزن المخلفات، ومخزن كتب الأطفال، ومخزن الكتب الثقافية والجامعية، ومخزن كتب التوزيع. كل هذا بخلاف تخصيص جزء كبير تحت التأسيس لإنشاء مطبعة جديدة وكبيرة للمؤسسة.

ثانيا: قطاع المطابع:

امتد نشاط دار المعارف إلى تقديم خدماتها الطباعية التى تميزت بها فلا تزال تتميز بالإخراج الفنى الجميل والدقة فى الطباعة وكفاءة الفنيين والعاملين من خبراء الطباعة حتى قيل «إن هذا الثوب مصنوع فى باريس وهذا الكتاب مطبوع فى دار المعارف»، وذلك بفضل التطوير المستمر فى مجالات الطباعة وجلب أحدث الآلات الطباعية ذات الكفاءة العالية والتى تعمل بالكمبيوتر.

ويعلم كل من اتصل بمهنة النشر وطباعة الكتب منذ أقدم العهود، أن قطاع المطابع هو العمود الفقرى لأى دار نشر أو مؤسسة صحفية عاملة فى مجال النشر والطباعة، فقطاع المطابع هو المنوط به تجهيز الكتب والإصدارات المختلفة (كتب، صحف، مجلات، كتب مدرسية، منشورات إعلانية، مطبوعات دعائية.. إلخ) قبل وبعد الطباعة، فهو شريان الدم الذى يغذى كل إدارات العمل المسئولة فى المؤسسة؛ بدءا بإدارة النشر، ومرورا بإدارتى التسويق الداخلى والخارجى، وانتهاء بإدارة الدعاية والإعلانات.

ولا يمكن لأى باحث أو مؤرخ أراد أن يسجل تاريخ الطباعة فى مصر والعالم العربى، أن يتجاوز أو يتجاهل دور دار المعارف أو (مطبعة المعارف ومكتبتها بالفجالة) التى تأسست عام ١٨٩١م، على يد واحد من أهم وأكبر رواد الطباعة والنشر آنذاك، المرحوم نجيب مترى (١٨٦٥م- ١٩٢٨م)، وهو الذى قاد بمفرده حركة ناشئة فتية فى إدخال المطبعة وتطويرها وتحديثها إلى مجال النشر الخاص وطباعة الكتب المدرسية التعليمية والثقافية فى تلك المرحلة الباكرة.

وإذا تحدثنا عن تاريخ الطباعة فى (دار المعارف)، فإننا نتحدث عن تاريخ الطباعة ليس فى مصر وحدها، بل فى العالم العربى كله؛ فـ(مطبعة المعارف ومكتبتها) التى أنشأها نجيب مترى فى ١٨٩١م، وحولها ابنه شفيق مترى إلى (دار المعارف بمصر) فى ١٩٤٥م، هى أول كيان مؤسسى يتخصص فى نشر الكتب وطباعتها، ويكون سباقا إلى استيراد أحدث ماكينات الطباعة من ألمانيا (أم المطبعة وماكينات الطباعة فى العالم كله).

كانت المطابع الوليدة فى مصر آنذاك، وعلى رأسها مطبعة المعارف ومكتبتها، فى حركة دائمة تستجلب آلات مستحدثة مختلفة؛ بعضها للطباعة، وبعضها للتجليد، وآلات أخرى للتهيئة والترتيب، ولقد أتقنت (مطبعة المعارف) منذ البداية الطبع بالألوان حتى ضارعت فيها كبريات المطابع الأوربية، وأغنت عن طبع ما يراد طبعه من الكتب أو المصورات خارج مصر، بعد أن راحت تنهل من خبرة المطابع الغربية الفائقة، واضعة فى اعتبارها كل تحسين ممكن لصناعة الكتاب المصرى والعربى، ويكتب صاحبها نجيب مترى مبكرا جدا فى عام ١٩١٥م:

«إن مطبعة المعارف قد أصبحت بمشيئة الله، بعد ما جهزناها به من أنواع الحروف المختلفة، والآلات الحديثة، مستعدة للقيام بكل ما يطلب منها طبعه فى اللغات العربية والإفرنجية»، ولذلك نشرت المطبعة فى ذلك الوقت إعلانا فى الصحف ينوه عن أجناس الحروف الموجودة فى المطبعة وأنواعها واستخداماتها، وعلى سبيل المثال يشرح الإعلان سمات ووظائف حرف بنط ٩ فيقول (يحسن استخدامه لطبع الألقاب والوظائف على بطاقات الزيارة)، وهكذا يستطرد فى شرح وظائف الأبناط الأخير التى كان معمولا بها فى ذلك الوقت..

وفى ستينيات القرن الماضى، تم استيراد ماكينات الطبع "ألمان" وكذلك مقصات "البولار" الضخمة، ومنذ ذلك الوقت واكبت دار المعارف أحدث الصيحات فى عالم الطباعة وماكينات الطبع، فمن طبع "التيبو" و "الروتاتيف" إلى ماكينات الطبع الرقمية "الد يجتال"، مرورا بماكينة "الويب هانشو" التى تتكون من خمس وحدات، وبها جهاز تجفيف ومبرد ووحدة لضم الملفات أوتوماتيكيا بما يحقق السرعة فى الإنجاز، وكذلك وحدة أخرى لتجفيف الألوان من على الورق.

وكان يعمل على هذه الماكينة الضخمة ١٢ عاملا، وقد بدأ تشغيلها عام ١٩٩٤م، حيث كانت تتميز بإمكانات عالية، مثل طبع الفرخ الواحد من الورق ٤ لون من الجهتين، أو فرخين من الورق أحدهما ٤ لون من الجهتين، والآخر لون من الجهتين، وكانت هذه الماكينة تطبع كتب وزارة التربية والتعليم بطاقة طباعية تصل إلى ٥٠ ألف فولدر فى اليوم. وكانت مطابع دار المعارف تطبع كتب وزارة التربية والتعليم فى الدول العربية المختلفة لسمعتها العالية وشهرتها الكبيرة التى تجاوزت الآفاق المحلية إلى العربية، وكانت رائدة فى هذا المجال وسبقت كثيرا من دور النشر الكبرى فى العالم العربى.

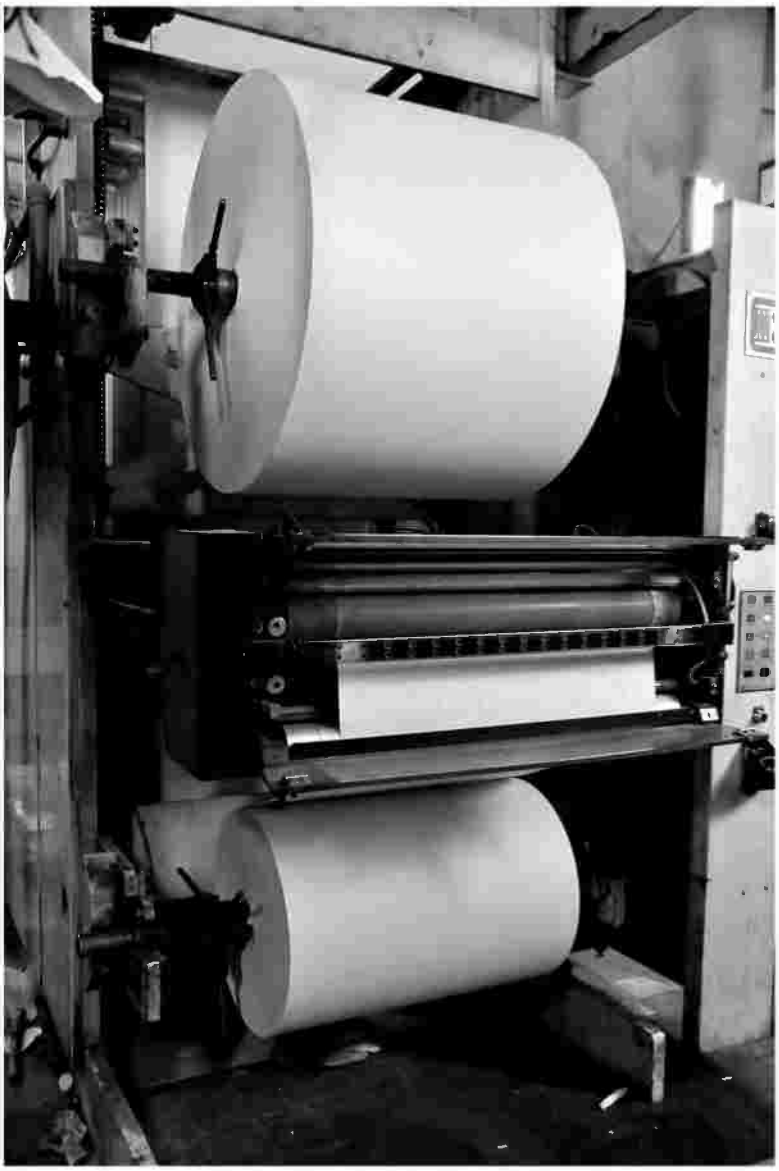

كان هناك أيضا الماكينة الضخمة "ويب كومباكتا" التى بدأت مع صدور مجلة أكتوبر عام ١٩٧٦م، وتتكون من أربع وحدات وطاقتها الطباعية ٩٠ ألف فولدر فى اليوم، ومن قبلها استحدثت دار المعارف ماكينة "ويب فرانكنيتال" مكونة من أربع وحدات وتعمل بطاقة طباعية ٥٠ ألف فولدر فى اليوم، بالإضافة إلى وجود ١٠ ماكينات أوفست مسطحا (تتعامل بالفرخ).

أما ماكينة طبع غلاف (مجلة أكتوبر) فتعمل بنظام التحكم الطباعى بالكمبيوتر أو سى بى سى (CPC) الذى يتيح ضبط الحبر والحركة لأسطوانات الزنك عن طريق مجموعة من المفاتيح بدلا من الأسلوب التقليدى اليدوى.

وفى مجال التجليد، أضيف خط تجليد الكتاب كولوبس وهو يتكون من ١١ محطة جمع ومحطتين يدويتين وحدة بشر وتغرية وتغليف وتجفيف وقص للكتب بكميات هائلة تصل إلى ٤٠ ألف كتاب فى اليوم.

وكانت دار المعارف سباقة، بل الأولى فى مصر التى تستخدم الكمبيوتر فى الجمع والتوضيب وتوجد حاليا أكثر من ١٥

وحدة كمبيوتر تقوم بهذه العمليات بالإضافة إلى التصميم والإخراج الصحفى لجميع المطبوعات التجارية ولمجلة أكتوبر وهناك وحدات جديدة فى الطريق.

وامتدت يد التحديث أيضا إلى الشكل الطباعى المعاصر، توضيبا واخراجا، وقد نجحت دار المعارف فى العقدين الأخيرين فى اجتذاب نوعيات مختلفة من الشركات والوزارات والبنوك والمؤسسات الأخرى فى التعاون معها لتقديم منشوراتها ومطبوعاتها فى إخراج متميز وجودة فائقة. والقائمة تطول إذا حاولنا حصر أسماء الشركات والجهات الرسمية وغير الرسمية التى سعت لطبع منشوراتها فى دار المعارف؛ منها على سبيل المثال: شركة المقاولون العرب، بنك مصر، شركة النيل للأدوية .. وحتى مطبوعات وكتب دور النشر العالمية مثل لونجمان وهايتيه التى طبعت كتبها فى دار المعارف بجودة عالية.

وبسبب شهرة مطابعها واتقان عمالها وفنييها، نجحت دار المعارف فى إبرام العديد من التعاقدات لطبع كتب بعض الوزارات وعلى رأسها وزارة التربية والتعليم فى دولة الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية، وليبيا، وغيرها من الدول العربية الشقيقة.

ويزخر دولاب دار المعارف بعشرات من خطابات الشكر وشهادات التقدير تسجل الإشادة بجودة طباعة الكتب التعليمية المقررة.

ويجرى حاليا الإعداد لمشروع طموح لشراء ماكينات طباعة جديدة، وحديثة، لتدعيم القدرات الطباعية للدار ودخولها كمنافس قوى وعملاق مع كبريات دور الطباعة فى العالم العربى.

حاليا يوجد فى دار المعارف ما يلى:

مرحلة ما قبل الطبع، أجهزة جمع الكتب، وهى أجهزة آبل ماكنتوش حديثة، علاوة على برامج المونتاج ويتم إرسالها إلى

جهاز (CTP) وهو جهاز نقل الصفحات من الكمبيوتر إلى الزنك مباشرة والذى يعطى جودة طباعية عالية، وهذا النظام حقق نسبة عالية من تقليل المفاقيد التى كانت تهدر بنظام الأفلام، كما أنه يوفر جودة طباعية ممتازة.

توجد أيضا ماكينات حديثة للطبع الأوفست، وماكينات أخرى أحدث، توفر جودة طباعية متميزة وعالية، تم استيرادها من شركات عالمية كبرى لها باع طويل فى هذه النوعية من الماكينات المتخصصة، وهى تطبع ٤ لون بكفاءة عالية.

أما ماكينات "الويب"، فيوجد ماكينتا ويب؛ إحداهما قديمة والأخرى حديثة، بمقاسات متنوعة تتيح طباعة كل الكتب؛ بالأسود وبالألوان وبكميات كبيرة جدا وجودة عالية.

وتأتى المرحلة الأخيرة فى صناعة طباعة الكتب، وهى مرحلة التجليد، وتوجد فى هذه الدائرة ماكينات تجليد عديدة ومتنوعة المهام، مثل ماكينات الخياطة والسلك، وخطوط السلك، وخط البشر علاوة على ماكينات القص وماكينات التربيط.

وبعد سرد مراحل الطبع المختلفة للكتاب تقوم مطابع دار المعارف بطبع كتب وزارة التربية والتعليم بكميات هائلة تصل إلى عشرة ملايين نسخة، بالإضافة إلى طباعة كتب مشيخة الأزهر الشريف بكميات كبيرة أيضا. علاوة على طبع كتب رابطة الأدب الإسلامى، وطباعة كتب النشر الثقافى والخاصة بإدارة النشر بدار المعارف لكبار المؤلفين فى مصر والعالم العربى. كما تقوم المطابع أيضا بالطبع التجارى لأى شركة سواء داخل مصر أو خارجها.

وأخيرا، دائما ما تفتخر مطابع دار المعارف بأبنائها المهرة من مهندسين وفنيين وعمال؛ فهم دائما الذين يعطون الفارق فى الجودة والتميز عن أى مؤسسة أخرى، وهم دائما من يقفون بجوار

مؤسستهم، يدعمونها ويساندونها فى كل المواقف الصعبة، وبكتيبة دار المعارف من أبنائها المخلصين ستعود دار المعارف منارة ساطعة ومشعة تنشر العلم والثقافة والنور فى ربوع مصر والعالم العربى كله.

ملاحق
وثائق وصور ونصوص

١ - المقدمة التى كتبها المؤرخ والمحقق الكبير الدكتور أحمد فريد رفاعى بك للكتاب التذكارى «مطبعة المعارف ومكتبتها وأصدقاؤها» (١٨٩٠م - ١٩٣١م).

مقدمة/ بقلم حضرة المؤرخ المحقق الكبير الدكتور أحمد فريد رفاعى بك

هذه كلمة إخلاص وولاء واعتراف بالجميل وإذاعة لفواضل انف حسناته ترتهن بها أعناقنا نحو تلك الجهود المنتجة البريئة التى تخدم الوطن والفن فى غير ضجيج ولا ضوضاء ولا كبرياء وهى جهود سعادتنا المؤلفين والناشرين وكرام الكاتبين من علماء وأدباء وشعراء أولئك الذين شرفهم الله برسالة قدسية مترعة بما يفيد وينفع ويؤلف الشتات ويجمع ويدعو لله والسداد ويذيع بين الإنسانية معالم الحكمة وفصل الخطاب.

هى كلمة إخلاص وولاء لأن أولئك الذين يجودون بعصارة أفئدتهم وحبات قلوبهم وذخيرة عقولهم وثمين أوقاتهم بما يجودون به من تألدهم لشحذ أذهاننا وإنارة بصائرنا وامدادنا بكل ما فيه جعبتهم وحولهم وطولهم مما يزيد فى حولنا من قوة ونهى وعلم وحجة وقد واصلوا مغداتهم برواحهم وفحمة ليلهم ببياض نهارهم فى غير كلال ولا ملال، لخليق منا بأن نقابل جميل صنيعهم بما نملك من إخلاص وولاء وشمر وثناء إحقاقا للحق وجزاء لدين جسيم ليس لنا إلى وفائه العدل من سبيل..

يرسل الكاتب صيحاته الإصلاحية ويدبج العالم بحوثه العلمية ويفيض الشاعر بقصائده الشعرية وعلم الله أن كل أولئك وهو فى تحليقه الفكرى وعالمه الروحى إنما ينحت من قلبه ويسكب من دمه تلك الحروف التى نقرأها فى دعة واسترواح وبهنية من العيش ولحظات قصار من الوقت وهى قد أقضت مضجعه وأعنتت جماع تفكيره.

وبعد.. فجميل من صديق النابهين (شفيق وإدوارد مترى) نجلى صديقى الراحل الكريم بطل فن الطباعة حقا وزعيم الناشرين الأمناء عدلا وصدقا أن يتقدما للناطقين بالضاد بهذه المجموعة القيمة من رسوم قادتنا فى عالم التأليف الذين أحسنوا وأجادوا وأبلوا فأفادوا اعتراف منهما بالجميل وإن كان الأحرى أن يكون الصنيع من السادة المؤلفين لسلالة هذا البيت العامل الأمين إلا أن الواقع المحسوس الذى لا ريب فيه وليس فى ثناياه من مبالغة ولا إغراق أن قسطا كبيرا من نشاطنا الفكرى ليدين فى أكثر نواحيه إلى تلك الجهود المتواصلة نحو الكمال والإبداع و نحو الإحسان والإتقان التى بذلها بكل الطباعه راحلنا الكريم نحو الذكرى المبرورة والأيادى البيضاء على المؤلفين خاصة وجمهور القارئين عامة صديقى ذى الأحدوثة الفيحاء المرحوم نجيب مترى والدهما البر وولى الكاتبين الحميم.

منذ حوالى نصف قرن وذلك البطل العصامى العظيم يعمل فى اتئاد ومواظبة وفى حسن مواتاة ومثابرة وفى غير إعلان عن النفس مع الجود فى غير ما تردد، ولا امتعاض بما فى حوزته من مال ونشب عمل الجبابرة الأفذاذ، وكان إلى دمث مناقبه ولين عريقته وسعة عطنه وسماحة أخلاقه وطيب أعراقه نعم المعين والمشجع ونعم النصير والظهير لكل كاتب ومؤلف ولكل شاعر ومصنف، حتى أيقن الجميع أن ماله نهب للجميع وإن دار طباعته لمن لا مطبعة له ناهيك بوداعته وأصالته وحزامته ونبالته ونزاهته وأمانته.

لقد وفق فقيدنا الكريم بطل صناعة الطباعة فى المشرق بلا نقد ولا إبرام وإمام الناشرين الأمناء بلا شك ولا إحجام إلى إصدار مئات المؤلفات القيمة سواء كانت مدرسيه إفادة لطلابنا، أم أدبية عمرانية ثقفتنا شيوخنا وشبابا فى إتقان صنعه وجمال مظهره وكمال مخبرة إلى رخص ثمن وسهولة تناوله ومثابرة الجبابرة وحزم الحكماء فى صدق نية وطهر طوية ما أثبت به شرفا لجدودة الفينيقيين وبنى به مجدا خالدا لمعاشريه المصريين وخلف من وراءه أحدوثة وضاءة لاولاده البررة الأكرمين فعليه رحمة الله ورضوانه بقدر نفعه لجمهور الكاتبين والقارئين.

على أننى أرى لزاما محتوما على أن أنوه هنا بما لشبليه من تزين صادق واحتذاء دقيق لخطوات والدهما البر الكريم وبطل صناعة الطباعة الفذ العظيم، وأنه إذا كان كتابنا جميعا يعترفون بصحة ما أثبته أحد كرام مؤلفينا الفضلاء فى كلمة طيبة ألقاها فى العيد الفضى عام ١٩١٦م حيث يقول :ولى عادة فى الطبع لا يرضى بها ولا يتحملها إلا صاحب مطبعة المعارف أو من كان له صبر صاحبها وسماحته وطيب أخلاقه كنت أعقد فصل وأقدمه للطبع فتصدر المطبعة منه مثالا وتعيده إلا لا راجعه فلم أكن اكتفى بمراجعته طبق الأصل كما هى عادة الكتاب والمؤلفين بل كثيرًا ما كنت أزيد على الأصل أو أنقص منه وأغير وأبدل فى معانيه وألفاظة تغييرا يوجب فيه أكثر الأحيان قلب الصفحات كلها فى لا مطلعه رأسا على عقب" ولقد أثبتت ذلك القول كنموذج صادق لما اعترف به جميع الخطباء من وزراء وشعراء وأدباء وهنا أسمح لنفسى بإثبات ذلك أيضا عن ولديه الجديرين بكل تنشيط وحدب وتأييد ونصر.

(شفيق وادوارد) فلله درهما، من شهمين كريمين خليقين لكل رعاية وإجلال، أجل أذكر هذه بمناسبة ما وقع لى بنصه وفصه وأنا أخذ فى طبع كتابى الشخصيات البارزة فكم كان

صنعى أضعاف مضاعفة لما اعترف به الجميع من قلب وابدال وتقديم وتأخير واضافة وحذف ومع ذلك لم ألق من هذين الشابين الحكيمين إلا كل هش وبش وإجابة وتلبية وليان وطواعية فى أدب رائع وإتقان يانع إلى خلق سجيح وفضل وعقل رجيح. إننى هنا تنبيها للناشئين من شبابنا الناهضين بفضلهما وإكبابهما على عملهما ومضيهما فى أداء واجبهما كل فى حيزه، فشفيق للفن الذى بذ فيه الأقران وتعلمه فى النمسا وبلاد الألمان، وأدوار للإدارة المتئدة الحكيمة التى لا تبخل بالبذل فى كل ما يحقق غايتهم فى اقتداء أثر قدوتهما الصالحة وأمثولتهما الخالدة مع الألفية وعروة الإخاء وكمال التعاون.

وأيم الحق ما زرت دارهما إلا كان كل يفتلذ من عمله المتواصل المجدى ما يتقدم به لنفع نفسه وفنه وقومه. ووالله لقد شغل كل فى حيزه ذلك الفراغ العظيم الذى تركه صديقى الكريم حتى إن الجميع من بليغ أسفهم لفقد المرحوم نجيب مترى الذى كان حركة دائمة ونشاطا مستمرا لم يحس من فراغ تركه، بهمة هذين العاملين اللذين قد وصلا بمثابرتهما وامانتهما وكدهما وجدهما وقناعتهما إلى الذروة التى ليس بعدها من غاية أو كمال.

فلنذكر بذكرهما وذكرى الراحل الكريم الأخلاق الكاملة والتربية الاستقلالية والإكباب على العمل. ولنذكر الأمانة وحسن الأحدوثة والتفانى فى أداء الواجب ثم لنذكر إلى جانب ذلك جميعه محاسبة النفس على الصغيرة والكبيرة فى عدم حدتها عن المبدأ السامى لهذه الدار بل ذلك البناء الشامخ والجود الراسخ اسما ومسمى ولفظة ومعنى وهو (إلى الأمام فى إخلاص وأمانة وإتقان..).

٢ - نص الخطاب الذى ألقاه الأستاذ الكبير حضرة أنطون بك الجميل فى حفلة العيد الفضى لمطبعة المعارف سنة ١٩١٦م، تحت عنوان «مشاهدات فى مطبعة المعارف»

لو بعث المقريزى من رمسه، أو نشر على باشا مبارك من قبره، وحاول هذا أو ذاك وضع «خطط» جديدة لمدينة القاهرة، لكان كلاهما ولا شك يطلق على شارع الفجالة اسم: «شارع الأدب والأدباء أو شارع المعارف».

فمن هذه البقعة الصغيرة التى لا تتجاوز الكيلومتر يصدر قسم كبير من المطبوعات العربية، وينتشر فى أقطار العالم الأربعة. فأخر بمحافظتنا أن تغير اسم هذا الشارع، ولا سيما أنّ لا أثر فيه اليوم للفجل والفجالين، وتسميه بشارع المعارف.

ولو حددنا الموقع الجغرافى لمطبعة المعارف لقلنا إنها واقعة على مدخل هذا «البوغاز الأدبى».

مطبعة المعارف، منذ عهد بعيد، ملتقى رجال التأليف وأرباب القلم فى مصر. ومن حاول أن يكتب تاريخ الأدب العربى فى ربع قرن ومن أراد أن يصف مشاهير الكتاب والشعراء من أحياء وأموات ارتادوها وجلسوا بين جدرانها فقد أراد أن يذكر مطعم الذين ألفوا وترجموا فى هذة الحقبة من الزمن تسع سنوات مرت ويكاد مغرب كل شمس يرانى فى هذه المطبعة تارة مؤلفا وحينا مترجما وطورا ناشرا أو مصححا فأتيح لى أن أنظر بعينى وأسمع بأذنى من أخبار الأدباء وأعرف من سير الحركة الأدبية وظهور الكتب وانتشارها ما أنا عارض منه عليكم بعض نتف فى هذه المصرية كما تعرض صور السينما فتوغراف إذ أنى لى أن أحيط بهذا الموضوع المتشعب من جميع أطرافه فى بضع دقائق حددت لى لمحادثاتكم. فى إحدى زوايا المطبعة قطعة أثاث سموها ما شئتم منضدة أو مكتبا أو طاولة فكل هذة الأسماء تنطبق عليها لأنها كثيرا ما تقوم بجميع الوظائف التى تدل عليها هذه الألفاظ...

حـول هذه الطاولة أو المنضدة اجتمع فى فترات مختلفة كتاب ومؤلفـون مختلفون نوعـا ومنهجا وأسـلوبا متفقـون أبدا وكرم أخلاق وسـعة معارف، إلى هذه الطاولـة طالما جلس وزراء ووكلاء وزارات وقضـاة ومحامـون وأدبـاء وشـعراء فعقدو حولها جلسـات لطيفـة وقـد سـلوت بين الجميـع حرفـة الأدب وصناعـة التأليف فهـذا يصحح بروفة وذاك يبحث عن كلمـة وذلك يكتب تتمة فصل من فصول كتابه والآخر يراقب طبع ملزمة يهمه أمرها وهذا يناقـش ذاك فـى موضـوع أو عبارة فكأنهم قفير نحل يشـترون عسلا والكل فى ذهاب وإياب، وآلات الطباعة بقربهم تدور على محورها مرتلة تراتيل العلم كأنها آلات الموسـيقى تعزف والخروج مـن جميـع الأجناس تـدب فى أيـدى العمـال النشـيطين فتتراص بعضهـا إلى بعـض مؤلفـة كلمـات والكلمـات تؤلف سـطور والسطور تؤلف صفحات هى صورة العلم الغزير والأدب الجم.. هذا وصاحـب المطبعة يقظ وأخـوه مديرها الغيور فـى رواح ومجىء لا تغفل لهما عين عن إشاره ولا تصم لهما أذن عن كلمة.

وأول مـن أذكر مـن قصاد المطبعـة وإن كان قـد انقطع عن جلسـاتنا منذ مدة سعادة إسماعيل باشا حسـنين وكيل وزارة المعارف اليوم وناظر مدرسـة المعلمين يومئذ ولا أزال أراه جالسا فى زاوية يصلح مؤلفه النفيس فى خلاصة الطبيعة يحيط به جلال العلـم الحق وهيبته ويكنفه تواضع الأدب ورزانته فكان يهتم بإنـارة أذهان الطلبـة بكتابته كمـا يهتم اليوم بأمـر تربيتهم وتثقيفهم بإرادته.

وقـد ظـل مـدة واسـطة عقـد هـذه الجلسـات الصديقـان "حافظ إبراهيـم وخليل أفندى مطران" وكانا يشـتغلان بترجمة الموجـز فى علـم الاقتصاد لبول ليروا بوليو وحولهمـا هالة من الأدباء والظرفـاء، ومن يجهل رونق كل اجتمـاع يزينه هذان الأديبان أن الكبيران.

ولـو كان فـى الطاولة التى أشـرت إليهـا أسـطوانة فوتوغراف لـرددت عليكم أحسـن منى بعـض ما سمعت من نـكات حافظ

ومداخلات خليل التى كانت تتطاير شرار ذكاء لامع خلاب وقد كان لكل منهما عدا هذه الجلسات المشتركة جلسات خاصة الأول لطبع كتابه فى التربية والأخلاق وكتيبه فى الاقتصاد، والآخر لطبع ديوانه المسجدى ورواية عطيل المشهورة.

و نحن على هذه الحالة مثيرا ما كنا نسمع قرع عصا كأنها الصولجان فى يد الملك المتوج.

وهمهمة كأنها الزئير خارجا من خلق الأسد ثم يدخل علينا داخل كليب المتنبى. يطأ الثرى مترفقا من تيهه فكأنه أسد يجس عليلا.

مازال يجمع نفسه فى زوره حتى حسبت العرض منه الطولا.

على أنه لم يكن كذلك الليث.

ليرد عفرته إلى نافوخه حتى تصير لرأسه إكليلا

بل كان يلقى بطربوشه ما بين ناظريه كأنه يريد أن يحجب بعض المناظر عن عينه.

عرفتهم من هذا الوصف ذاك الذى له من الأسد اسمه المصغر وعزمه المكبر عنيت الحكيم شبلى شميل وكان يأتى لمراقبة طبع مجموعته المملؤة تألما نفسيا أو رواية دفنيس وخلوى الطافيا حبا فطريا وهل لشميل إلا مجموعة هاتين العاطفتين.

وفى مطبعة المعارف التقى لأول مرة على ما أذكر صاحب الشفاه بصاحب مناهج الأدب أمين بك واصف فما تعارفا حتى تحابا وقدر كل منهما قدر صاحبه وكم كانت مطبعة المعارف واسطة التعارف بين الأدباء وكان لحكيمنا مساء ذلك الالتقاء غضبة من غضباته المعروفة على الزمان وأهله ترك صداها أجمل أثر فى نفس الأديب المصرى الكبير.

وكان أمين بك واصف يطبع يومئذ كتاب الفهرست الذى وضعه ملحقا لخريطة الممالك الإسلامية وما اجتمعنا به فى كل مساء إلا وكان لديه كلمة جديدة من الموضوعات المصرية

يناقشنا بها وهو يتلهب غيرة على لسان العرب ويزود عن حياضه بقلمه السيال ولسانه الذلق وقد حداه ذلك إلى وضع أساس مشروع جليل بالاتفاق مع نفر من الأدباء سيعود إلى اللغة بأجل الفوائد وكانت الجلسات تحول فى بعض الأحايين إلى جلسات اشتراعية تتناول القوانين العامة والخاصة وفلسفاتها إبان كان ثلاثة من نخبة رجال القانون يطبعون كتبهم فى علم الحقوق:

أولهم المفكر المدقق حلمى بك عيسى مدير الإدارة القضائية فى وزارة الحقانية وكان بعد كتاب شرح البيع وقد لاقى هذا المؤلف من الرواج والإقبال حال صدوره ما دل على معرفة الناس فضل صاحبه وأدبه الرائع.

وثانيهم الشاب الكامل المهذب الذى يؤلمنا غيابه وأيم الحق فى هذه الحفلة شفاه الله قريبا.

وهو عبد الحميد بك أبو هيف الأستاذ فى مدرسة الحقوق وصاحب كتاب قانون المرافعات المدنية والتجارية أما الثالث الدكتور عبد السلام أفندى ذهنى فكان يجيئنا فى كل أسبوع من بنى سويف لطبع كتابه فى مسئولية الحكومة وهو راكب من نشاطه قطرات أسرع من قطار الحديد تحدوه همة متقدة، أنفذ من البخار ومن هذه الطائفة من المؤلفين أذكر القاضى الفاضل صالح بك جودت الذى كان يطرق أحيانا كتب القانون ليحول جولات تذكر فى الموضوعات الأدبية والاجتماعية كما فعل فى روايته الإيمان.

وإذا عدت إلى أدباء الكتاب أذكر أديبنا المشهور السيد المنفلوطى وهو جالس إلى الطاولة المعهودة بثوبه الشرقى الجميل يصوب نظراته فيصير بها كبد الحقائق ويذرف عباراته فيستظر بها دموع القراء وما فكرت بجمال إنشاءه وتألق أزياؤه إلا ذكرت الكاتب الفرنسى بوفون، وكان يجيئنا شاعر الشعور الحى والعواطف الرقيقة ولى الدين بك يكن صاحب المعلوم والمجهول والابتسامة على ثغره تكاد تكون الدمعة تتلألأ فى

عين الحسناء فيمتعنا من أدبه المعروف وظروفه المشهور بايوقات أنس لا تنسى وليت زميلى مدير الزهور قريب منا يومى الشهادة وكثيرا ما كنا نشاهد الأستاذ المدقق الشيخ محمد الحضرى وقد جلس يصحح كتابه فى تاريخ الأمم الإسلامية وإلى جانبه شيشة ممشوقة القوام تنمى فقاقيع الماء فى جوفها ويتصاعد الدخان من رأسها، وكان ينقض علينا كالباذى رجل الهمة والمروءة نعوم بك شقير وهو مهتم بطبع تاريخ سيناء وقد تمكن أن يضع لهذة المغازاه الخرداء تاريخا ضخما جامعا من قطع المثيل فى باله مجددا فى ذلك الأعجوبة التى تمت على يد موسى عليه السلام ولقد فجر الكليم الماء من الثورة الصماء.

وفى مساء النهار كان يقبل علينا محمد خالد حسنين بك وقد جمع إلى همة الشباب رزانة الكهول وهدوء المشتغلين بالعلوم الرياضية فيكتب على مراجعه حساب المثلثات والجداول الرياضية والهندسة المستوية إلخ.

وكثيرا ما كان يحمل إلينا قطار قليوب الرجل المثير العمل القليل الكلام الدكتور محمد عبد الحميد بك فيصل توا من المحطة إلى المطبعة بحصوله وكليشيهات لمؤلفاته.. العلاج بعد العمليات والحمل خارج الرحم والتشخيص والعلاج الجراحى وتعليل النوع والأمراض المعدية والتمريض المنزلى والإسعاف الأولى وطب البيت وكلها مصنفات تنطق بفصل واضعها.

وتقول لوزارة المعارف يوم تنوى تدريس الطب باللغة العربية هأنذا !!!

ثم يليه بقطار بنى سويف

توفيق بك البرادعى فى قبل على تصحيح كتب الجغرافيا والا رحمه دون أن يستريح من وعثاء السفر.

ثم يفد الدكتور سروبيان وهو يتلهب غيرة على ترويج علم الصحه فى البلاد ثم يعم العمل بالقواعد الصحية وتقل الوفيات بين الأطفال وقد لاقى من إقبال المدارس على مؤلفاته العديدة

فى هـذا الموضوع ومـا كان جزاء لهمتـه واعتراف بعلمه وواسـع خبرتـه وبين رحله إلى الهند أو سـفره إلى الترنسـفال، يحل بيننا الأديب التشـيك وديع أفندى البستانى حاملا إلينا ترجمات أقبرى الإنكليزى وخيام الفرس وتاغور الهند.

آنا سـركيس أفندى فيقبل وبيده أصول من مجلته أو برنامج لحفلتـه فيفكهنا بأدبـه المعروف وهذا نحن مشـتركون مجانا بمجلتين لسـركيس بدل الواحدة الأولى كتابية نقرأها كما يقرأهـا النـاس والثانيـة كلامية نتمتع بهـا وحدنـا وأنا أنصح لصديقة سـركيس أن يتحول إلى مجلة طوافة تزور المشتركين فى مواعيد معينة يركبون بها وقد أنسنا مدة من الزمن إبان طبع كتاب الأحكام وكيل دار الكتب السـلطانية آل سيد محمد البلاوى فـكان دائما بيننا عنوان الكمـال والكلف والأدب الوافر ولم يكن أستاذنا الأكبر إسماعيل باشا صبرى ليبخل.

علينا بزياراته بين حين وأخر فنفسح له بيننا مجلس الرئاسة.

فيتبوأه عن جدارة وأهليـة و يجلس الجميع حوله يغترفون من بحـر أدبه الزاخـر... ويسـتمدون نصائح من ذوقه المشـهور وتعقد أحيانـا إلى جانـب هـذه الجلسـات المتطريشـة جلسـات متبرنطة يحضرها فريق من الأساتذة المفتشين الإنجليز فى وزارة المعارف.

أذكر منهم المسـتر روب والمسـتر سيمذارد والمسـتر تويدى أما الطاولة المعهودة فقد اشـتد التزاحم عليها فى عهد وزارة حشـمت باشا حتى كانت تأن ألواحها الخشبية على صلابتها.

من كثرة الجالسين إليها لطبع الكتب فى المواضيع المختلفة ولقـد تفضل معاليه يوما بأن أعـرب عن رغبته فى زيارة المطبعة وعمالها النشيطين فلبست الدار حلة العيد والابتهاج.

ولمـا آن لوجههـا الوزير الحكيـم دارت آلاتها الطابعـة فتنثرت أوراقا عليها رسمة الكريم وبيتان من الشعر.

شرفت قدر معارف وليتها.... فغدت تتيه على بأكرم ناظر

وحللت مطبعة المعارف زائرا... فتهللت طربا بأكرم زائر

ولم تقتصر هذه الحركة الأدبية فى مطبعة المعارف على الجنس النشيط بل كان للجنس اللطيف منها نصيب يذكر بفضل سيداتنا الفاضلات وأوانسنا الأظيبات اللواتى نزلن إلى ميدان التأليف يبارين الرجال مجددات عصر أديبات العرب الشعيرات وكنت أود وصف كل واحدة من كاتباتنا وهى تصحح بروفاتها أو تراقب طبع كتابها ببراعة لا تقل عن اهتمامها ببيتها وشئونها المنزلية وهى اليوم تداعب فى يدها الجميلة اليراع أو الريشة أو القيثارة كما كانت العربيات يداعبن المغول والحسام ولكننى أكتفى بذكرهن ولا أصف.

فأذكر من زائرات مطبعة المعارف الكاتبة المجيدة صاحبة فتاه الشرق.

والسيدة الفاضلة صاحبة الجنس اللطيف.

والأخوات الأديبات صاحبات مجلة الأعمال البدوية.

والأديبة صاحبة العائلة المصرية.

والسيدة البارعة صاحبة الفتاة والبيت.

والمرحومة مؤلفة تاريخ مصر.

ومدبجة المقالات الشائقة.

ولقد قصفت بها المنية أندر زهرة فى رياض العلم والأدب والفضيلة.

أيها السادة قد أكون مقتصرا فى عينكم وفى عينى إذا اكتفيت بذكر الأحياء مهم لا ذكر الأموات فقد عرفت طاولة المطبعة طوائف من نخبة أدبائنا وكتابنا هم واضعوا أساس النهضة الفكرية الحديثة فى البلاد العربية أذكر منهم المرحوم الشيخ إبراهيم اليازجى إمام اللغة فى عصره وصاحب الفضل على المطابع فلقد طالما عرفته مطبعة المعارف إبان كان يصدر مجلة الضياء ويطلع كتاب نجعه الرائد

ويشتغل بوضع أمهات جديدة لإصلاح حروف الطباعة العربية وللمرحوم قاسم بك أمين المصلح المشهور فقد كان يجىء لطباعة كتابة المرأة الجديدة الذى كان له دوى عظيم فى البلاد ولا يزال صداه يتراجع حتى اليوم.

أذكر المرحوم فتحى باشا زغلول وهو يطبع مؤلفاته الجليلة فى المحاماة وسر تقدم الإنجليز السكسونيين وسر تطور الأمم إلخ.. واقفا على صندوق الحروف بجانب العامل مراقبا العمل بنفسه فإنه على ما وصفه الخليل:

عاش يرمى إلى مرام وحيد وصلاح البلاد ذاك المرام
وهو العامل المسهد فى التحصيل والقوم هادئون نيام
أحد الفرقدين من آل زغلول وحسب الفخار مجد توام

أذكر المرحوم على باشا أبو الفتوح وما كاد ينجز طبع كتابه خواطر فى القضاء والاقتصاد والاجتماع حتى روعنا بنبأ الرزء به فأنشدنا مع حافظ :

يا مصر قد أودى بفتاك ..... ولا فتى إلا على

أيها السادة أقف عند هذا الحد من عرض مناظر هذا السينما الأدبى واسمحوا لى قبل كلمة التهنئة والدعاء أن أبسط أمنيه مزدوجة تتعلق بأصحاب المطابع والمكاتب من جهة والأدباء من جهة أخرى أتمنى على هؤلاء وأولئك تأليف نقابتين :غرض الأولى السعى إلى ترقية الكتاب العربى وترويجه وذلك لنشر طباعات متقنة من كتبنا التى لا تزال مطوية فى محفوظات دور الكتب أو التى طبعت طبعا مشوها ينفر المطالع وغرض النقابة الثانية تضامن أرباب الأقلام وتعاونهم على خدمه الآداب العربية بالطرق المعروفة التى لا مجال لبسطها الآن.. فعسى هذا العيد الذى نحتفل به اليوم أن يتجلى عن وضع أساس لهاتين النقابتين.

ومصر حرية بتحقيق هذه الأمنية وهى من البلاد العربية بمثابة الرأس من الجسم بل خليق بها وقد كانت أسبق الأمصار

إلى وضع حروف الهجاء وصنع الورق أن تعمل على إتقان فن الطباعة وترقية الصناعة حتى تتمكن معالم الوطنية من تجهيز مطابعنا بما يلزمها من الآلات والأدوات والحروف والورق والأمل وطيد بأن مصر الحديثة ستدرك هذه الغاية من زعمائها الكرام أما كلمة التهنئة فازفها خالصة من كل تكلف إلى صاحب مطبعة المعارف ومديرها وأعمالها والأدباء الذين يؤمونها مشفوعة بالدعاء الحميم لهم وللأفاضل الذين شرفوا هذه الحفلة بأن يكون جميعهم سالمين بعد ربع قرن لنحتفل بالعيد الذهبى وبعده بالعيد الماسى إن شاء الله..

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

اطلع على هذه المجموعة حضرة الأستاذ الكبير محمد أمين بك لطفى السكرتير العام لوزارة المعارف المصرية سابقاً فتفضل وبعث الينا بهذه الكلمة التى تشير الى عواطفه السامية وتقديره لخدمة العاملين فى سبيل نشر التعليم

قال حفظه الله :

أنشئت مطبعة المعارف منذ نصف قرن وكانت منذ تنسمها نسيم الحياة فى مكان بشارع الفجالة (مقرها الآن) ظلت فيه دائبة على أداء المهمة التى أخذتها على عاتقها وهى العمل على طبع ونشر الكتب على اختلاف أنواعها وتباين مناحيها ، فلم تلبث أن اقتعدت المكان اللائق بهمة القائمين بها ، وأمها العلماء والنابهون وقادة الفكر من رجالات مصر بنتاج أفكارهم وثمار عقولهم لتعمل على إذاعته بين جمهرة الشرقيين . فاتسعت أعمالها وازدادت حركتها ، وحينذاك لم ير أصحابها بدًّا من أن ينقلوها إلى مكان رحب يسع آلات الطباعة التى يتطلبها الفن الحديث ، فاتخذوا مكانها الحالى لها داراً ، وهو لا يبعد عن سابقه إلاّ ببضعة أمتار إلى جهة الشرق .

فاذا واتتك المقادير وقصدت إليه ، رأيت ثَمَّ مكاناً فسيح الجنبات ، واسع الأرجاء تتخلله الشمس والهواء ، به نوافذ واسعات تطل منها فيأخذ نظرك ويتملك فؤادك ما تشاهده من حركة دائبة وآلات مستحدثة مختلفة بعضها للطباعة وبعضها للتجليد ، وآلات أخرى للتهيئة والترتيب .

وهذه صورة قسم صغير من فرع تنضيد الحروف يرى الناظر إليها فريقاً من العمال يعملون وضياء الشمس يحيط بهم من كل جهة فيضاعف نشاطهم وإقدامهم على العمل .

ولقد أتقنت مطبعة المعارف

مصر . فهى الآن واسطة عقد المطابع على اختلافها وفخرة فى جبينها وفخر لمصر والمصريين .

وإن تعجب فعجب من هـذه الآلات التى تدار من غير حاجـــة إلى يد عاملة « أوتوماتيك » ويرى الناظر اثنتين منها فى هذه الصورة فالأولى التى على اليمين من نوع (البدال) الـريعـة الحركة والثانية من النوع الاسطوانى المعروف (بالطنبور)

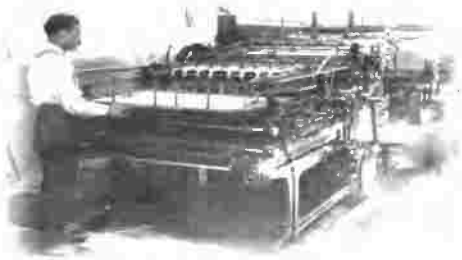

وهذه صورة الآلة الطابعة البديعة التى يتجلى فيها جمال الفن واتقان العمل وهى من النوع « الاوتوماتيكى » التى تستعمله أشهر المطابع فى البلاد الألمانية لطبع الكتب النفيسة وغيرها من المطبوعات القيمـــــة

وهذا رسم آلة طى الورق على الطريقة « الاوتوماتيكية » والعامل الواقف الى اليمين يضع رزمة الورق المطبوع على لوحتها والعامل الصغير يتناول الورق الذى يتدفق منها وقد تم طيه وأصبح معداً لفرع التجليد

ومما يسر النفس وتقر به العين أن جميع العمال الذين يقومون بالعمل فيها مصريون قد تذوقوا

لذة الفن فشغفهم حبُّ الاتقان فى العمل حتى صار طبعاً لهم فلو حاولوا عدم الاتقان لما وجدوا اليه سبيلاً

وكل شىء فى هذه المطبعة يشير أبلغ إشارة الى الجهود العظيمة التى بذلها مؤسسها المرحوم نجيب متى والى قوة العزيمة التى كان يتحلَّى بها فى إدارة العمل . فقد كان سبّاقاً فى حلبة الاتقان مفطوراً على الميل الصحيح الى هذا الفن العظيم معروفاً بسلامة الذوق ورقة الجانب وكرم الأخلاق

وقد غادر هذه الحياة قرير العين بما تركه من الآثار التى خلَّدت ذكره فى تاريخ فن الطباعة فى الشرق

المرحوم نجيب متى

ولا تزال هذه المطبعة الشهيرة تسرع الخطى صاعدةً فى معارج الرقىّ والحياة المقرونة بالأثر الصالح والذكر الجميل بهمة صاحبيها الأديبين الناهضين شفيق افندى متى وادوار افندى متى اللذين يتباريان فى حلبة العمل بنزاهة واخلاص وأمانة ، ويعملان بما أُوتياه من المهارة فى سبيل التجديد والتحسين ، ويتسابقان الى توثيق عرى الصداقة والولاء مع كرام الكتاب والشعراء والمؤلفين الذين خدموا العلم بأقلامهم وأفكارهم ولا يزالون يجدُّون فى نشر التعليم فى أرجاء البلاد

شفيق متى

ادوار متى

* * *

صورة الكأس الذى قدّمه فريق من المؤلفين والأدباء
الى نجيب افندى متى
تذكاراً للعيد الفضى الذى أقاموه لمطبعة المعارف
بفندق اكوتينتال بالقاهرة
فى ٢٨ ابريل سنة ١٩١٦

٤- نص الخطاب الذى ألقاه حضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك.. فى اليوبيل الذهبى لدار المعارف فى سنة ١٩٤١م

سيداتى وسادتى:

أما أنا فلم يتح لى الاشتراك فى العيد الفضى لمطبعة المعارف ومكتبتها، ولست أدرى أكنت فى ذلك الوقت أدنى إلى الشباب من السادة الذين أحيوا هذا العيد، ولكن المحقق أنى كنت فى أوربا أتم دراستى فى باريس. كما أنى لم أدع إلى الكلام فى إحياء هذا العيد الذهبى، ولكنى طلبت أن يؤذن لى بالكلام لأنى أحسست حاجة قوية إلى أن أشارك فى تكريم مطبعة المعارف ومكتبتها، وإلى أن أعترف بفضلها فى تشجيع الإنتاج الأدبى ودفع الأدباء إليه.

ولقد رجعت من أوربا وفى نفسى صورة ممتازة لما انتهت إليه الصلة بين الأدباء والناشرين فى هذا العصر الحديث. فهى صلة تقوم على التعاون ولا تقوم على الاستغلال، فالناشر ينظر إلى الأديب المنتج على أنه شريكه فى خدمة المعرفة والثقافة وتمكين العقل من أن يوصل ثمراته إلى أبعد مدى وإلى أكثر عدد ممكن من القراء. والأديب ينظر إلى الناشر على هذا النحو نفسه، وقد انتهى ذلك العصر الذى كان نشر الثقافة فيه تجارة يسعد بها الناشر والطابع ويشقى بها العالم والأديب.

رجعت من أوربا وفى نفسى هذه الصورة الرائعة، ولست أخفى عليكم أنى أنفقت وقتا غير قصير ألتمس هذه الصورة فى مصر، فلم يتح لى الاهتداء إليها إلا حين اتصلت بمطبعة المعارف ومكتبتها. هنالك لم أحس الارتياح إلى العلاقة بينى وبين الذين أخذوا ينشرون كتبى، وإنما أحسست شيئا أكثر من ذلك وأقوى، أحسست تعاونا يقوم على المودة والوفاء. وما لى لا أصارحكم ببعض الحق، وما طلبت الكلام إلا لأصارحكم ببعض الحق؟

فقد كان عهدى بالكتب التى ننشرها فى مصر أنها تكلفنا ما تكلفنا من العناء فى تأليفها وإذاعتها، ثم لا نجنى منها شيئا، أو لا نكاد نجنى منها شيئا، وربما كلفتنا إلى العناء العقلى أثقالا مالية لم نكن نقدر على احتمالها فى كثير من الأحيان. فلما اتصلت بمطبعة المعارف ومكتبتها تغير هذا كله تغيرا تاما. ومن المحقق أن المرتب الذى كنت أتقاضاه من الجامعة لم يكن من شأنه أن يمكننى من الرحلة إلى أوربا فى كل عام هناك حيث كنت أفرغ للراحة أولا، ثم للدرس والإنتاج بعد ذلك. فأنا مدين بالرحلة المنظمة إلى أوربا، وبما أتاحت لى هذه الرحلة من راحة وإنتاج لمطبعة المعارف ومكتبتها.

٥ - نص الإهداء الذى كتبه حضرة شفيق مترى أفندى صاحب (مطبعة المعارف ومكتبتها) إلى الملك فاروق بمناسبة صدور طبعة خاصة من كتاب «كليلة ودمنة» على شرف الاحتفال باليوبيل الذهبى لدار المعارف سنة ١٩٤١:

الإهداء

إلى الملك المصلح فاروق الأول

مولاى...

قد امتاز عهدكم السعيد بنهضة للعلم والفن والأدب والإصلاح أحيت الأمل فى مستقبل لمصر والشرق خليق بأرقى عصور الحضارة الإسلامية. وهذا كتاب «كليلة ودمنة» قد ظفر بحظ من الخلود لم يتح لغيره من روائع الآثار لانفراده بأسلوب من الحكمة نسيج وحده. وقد حرصت مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر تذكارا لعيدها الذهبى - على أن تخرج منه صورة جديدة دقيقة تلائم فى جمالها وروعتها هذا العهد الذهبى

السعيد. فهل يأذن مولاى فى أن أرفع إلى سدته العالية هذا الأثر الخالد ليكون فى هذا العطف السامى تشجيع على ما تحبون من المضى فى إحياء العلوم والآداب والفنون

الخادم الخاضع المطيع

شفيق نجيب مترى

القاهرة فى ١٥ إبريل سنة ١٩٤١م

أخرجت هذه الطبعة (مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر) لصاحبها شفيق نجيب مترى.

تذكارا لعيدها الذهبى فى شهر إبريل من سنة إحدى وأربعين وتسعماية وألف..

وكان الفراغ من طبعه فى اليوم الثامن عشر من شهر ربيع الأول سنة ستين وثلاثمائة وألف الموافق الخامس عشر من شهر أبريل سنة إحدى وأربعين وتسعمائة وألف بمطبعة المعارف ومكتبتها بمصر لصاحبها شفيق نجيب مترى، وعدد نسخ هذه الطبعة خمس وسبعون وألف منها تسعون ومائة على ورق من نوع velino ماركة Formosa Editio مرقومة من ١ إلى ١٩٠ والنسخ الباقية على ورق فاخر صنع السويد مرقومة من ١٩١ إلى ١٠٧٥

٦ - التصدير الذى كتبه حضرة الدكتور طه حسين بك للطبعة الخاصة من كتاب «كليلة ودمنة»

التصدير
للدكتور طه حسين بك

هذه طرفة قيمة تهديها مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر إلى قراء العربية فتمتع بها عقلهم وذوقهم وشعورهم وحسهم معا. وتقديمها إليهم، فى هذه الأيام المظلمة المؤلمة التى قلما يظفر الناس فيها بهذا المتاع الممتاز الخالص الذى ينعمون به فى أيام السلم، فضل يضاف إلى فضل وإحسان يضاف إلى إحسان.

فـى هذه الأيـام التى لا يلتقى الناس فيهـا إلا تحدث بعضهم إلى بعض عن آلام الحرب وآثامها، والتى لا يخلو الناس فيها إلى أنفسهم إلا فكروا فى سيئات الحرب وموبقاتها، والتى لا يصبح الناس فيها ولا يمسـون إلا على أنباء منها ما يسر ولكنه سرور فيه حمرة الدم وريـح المـوت، ومنها ما يحزن ويسـوء ولكنه حـزن لا كالأحزان: حزن عميق كثيف مطبق، يعرف أوله ولا يعرف آخره.

فى هذه الأيام التى يحاول الناس فيها أحيانا أن يفروا من أنفسهم وأن يفزعوا إلى القراءة وإلى غيرها من وسائل المتاع العقلى لعلهم يجدون فيها راحة من أنباء الحـرب وخطوبها الباهظة، فلا يقرأون إلا مـا يتصل بالحـرب، ولا يجدون من لذات الفـن إلا ما بينه وبين الحرب سبب قريب أو بعيد.

فـى هـذه الأيـام المؤذيـة المضنية يحمـد النـاس لمطبعـة المعارف ومكتبتهـا أن تقدم إليهم هذه المتعه القديمـة الجديدة التى مضت عليهـا القـرون والقرون، وسـتمضى عليهـا القرون والقـرون وهى محتفظـة دائما بشـباب نضر غض لا يعرض له الـذواء ولا يدركه الذبـول. وهـم ينظـرون فيهـا كما تقـدم إليهـم الآن فيجـدون لذة لأبصارهـم، ولا يكـادون يقرأون فيها حتى يجدوا هذه اللذه الفنية الممتازة النقيـة التى تخرجهم من هذه البيئـة الثقيلة البغيضة التى يكـره الناس على الحيـاة فيها الآن. فهى منفـذ يخلصون منه بين حين وحين سـاعة من نهار أو سـاعة مـن ليل إلى جو نقـى طاهر فيه للقلب رضا، وفيه للعقـل غذاء وفيه للحس راحة وفيه للنفس روح.

ويـروقنى أن أرى فى هذه الطبعة الجديـدة من كتاب «كليلة ودمنة» رموزا سامية صادقة لمعان سامية نحبها أشد الحب ونطمح إليها أشد الطموح.

ففى هذا الكتاب حكمة الهنـد، وجهد الفرس، ولغة العرب. وهـو من هذه الناحيـة رمز صادق دقيق لمعنى سـام جليل، هو هذه الوحدة العقـلية الشرقية التى تنشأ عن التعاون والتضامن وتظاهر

الأجيال والقرون بين أمم الشرق على اختلافها، والتى حققتها الحضارة الإسلامية على أحسن وجه وأكمله أيام كانت هذه الحضارة حية قوية مؤثرة فى حياة الأمم والشعوب والتى نريد الآن أن نرد إليها قوتها الأولى وجمالها القديم.

هذه الحكمة الخالدة الساذجة التى أفاضها روح الهند، ونقلها عنهم جهد الفرس، وصاغها فى هذه الصورة العربية الرائعة ذوق العرب، وتوارثتها الأجيال بعد ذلك فنقلتها من بيئة إلى بيئة ومن شعب إلى شعب حتى جعلتها جزءا من التراث الإنسانى الخالد، هذه الحكمة فى صورتها العربية رمز لما نحب أن يكون من تعاون الأمم الشرقية على إشاعة البر والتقوى وإذاعة الخير والمعروف ومقاومة الإثم والعدوان.

وفى هذه الطبعة التى تقدمها مطبعة المعارف ومكتباتها إلى الناس رمز آخر صادق دقيق لمعنى آخر سام جليل، نحبه أشد الحب ونطمح إليه أشد الطموح، وهو هذا التعاون المنتج بين قديمنا العربى القيم ونشاطنا العصرى الخصب.

هذا الجهد الذى أنفقه ابن المقفع فى نقل «كليلة ودمنة» إلى العربية، وهذه الجهود التى أنفقها المسلمون بعده فى درس الكتاب وتصحيحه وتنقيحه والاستفادة منه والانتفاع به، لم تذهب سدى بل لم تنقطع ولم تقف عند حد محتوم، ولكنها اتصلت بين الأجيال يضيف إليها كل جيل ما قصرت عنه الأجيال الأخرى حتى وصلت إلينا فلم نعرض عنها ولم نزهد فيها ولم نأخذها كما هى فى قناعة وكسل وفتور، وإنما أقبلنا عليها مشغوفين بها راغبين فيها وأخذنا نضيف إليها ما عندنا كما أضاف إليها الذين سبقونا ما كان عندهم.

فالجهد القيم الذى بذله الأب شيخو حتى أخرج للناس أقدم نسخة ظفر بها لم يقف عند الحد الذى وصل إليه الأب شيخو، ولكن زميلى الدكتور عبد الوهاب عزام يضيف إليه جهدا جديدا قيما فينشر نسخة جديدة أقدم من نسخة الأب شيخو

بأكثر من قرن من الزمان، ويمكن التاريخ الأدبى والنقد الأدبى من أن يعيدا نظرهما فى هذا النص القديم، ويستخلصا منه نتائج جديدة لها قيمتها وخطرها، ومن المحقق أن هذا الجهد الذى بذله الدكتور عبد الوهاب عزام لن يقف عند هذا الحد ولن ينتهى إلى هذه الغاية.

فقد كان يريد، وكانت مطبعة المعارف ومكتبتها تريد معه، جمع أكثر عدد ممكن من النسخ المخطوطة لهذا الكتاب ومعارضتها والموازنة بينها واستخراج أصح نص ممكن من هذه المعارضة والموازنة، فحالة الحرب بينهما وبين ما كان يريدان ولكنها لم تمنعهما من يقدما إلى الناس أقدم نص لهذا الكتاب عرف إلى الآن. والحرب منقضية يوما ما والسلم مقبلة يوما ما وجهود الذين يحبون العلم ويعملون على إحيائه وتنميته وإذاعته إن وقفت الآن فهى مستأنفة غدا أو بعد غد.

وما أشك فى أن الدكتور عبدالوهاب عزام سيستأنف الجد والبحث وسيجمع النسخ المخطوطة التى لم يظفر بها بعد وسيمضى فى المعارضة والموازنة وسيتقدم بنص «كليلة ودمنة» إلى الصحة والدقة والقدم خطوات أبعد من هذه الخطوة البعيدة التى خطاها بطبع هذه النسخة.

وما ينبغى أن نسرف فى الطمع ولا أن نتعجل الزمن ولا أن نجارى طموحنا الجامح ولا أن نغض مما يتاح لنا من التوفيق والفوز فليس قليلا بل كثيرا جدا أن يخطو الدكتور عبد الوهاب عزام وتخطو معه (مطبعة المعارف ومكتبتها) فإذا خطوتهما تقدم كتاب «كليلة ودمنة» نحو الصحة والدقة والقدم أكثر من قرن من الزمان.

وفى هذه الطبعة رمز آخر صادق دقيق لمعنى سام جليل نحبه أشد الحب ونطمح إليه أشد الطموح، وهو التعاون المنتج بين علمائنا الشرقيين المحتفظين بشخصيتهم وبين علماء الغرب الذين برزوا فيما حاولوا من البحث العلمى، فقد أصبحت

العزلة العلمية سخفا لا يطمع فيه إلا الذين قصرت هممهم وفترت عزائمهم وضعفت عقولهم عن فهم الحياة كما ينبغى أن تُفهم، وأصبح الجهد العلمى حظا شائعا بين الأمم المتحضرة جميعا، قوامه التعاون الصادق بين العلماء مهما تختلف أوطانهم وأجناسهم وبيئاتهم.

وقد بذل الدكتور عبد الوهاب عزام فى هذه الطريق جهدا قيما حقا فهو لم يقف وما كان له أن يقف عند الجهود الشرقية الشخصية التى بذلت لنشر هذا الكتاب؛ ولكنه ألم بالجهود التى بذلها الأوربيون والأمريكيون منذ عرفوا «كليلة ودمنة» فأصلح منها ما أصلح وقوّم منها ما قوّم وأضاف إليها ما أضاف، وعرض ذلك علينا فى مقدمته الممتعة مع هذه الأمانة الساذجة المتواضعة التى تليق بالعلماء والتى لا يليق غيرها بالعلماء.

ويكفى أن الذين يقرأون هذه المقدمة سيحيطون إحاطة دقيقة شاملة بكل الجهود التى أنفقت حول هذا الكتاب منذ أخذوا الفرس عن الهند إلى أن وصلت إلينا طبعته الأخيرة فى هذا العام. وفى هذه الطبعة رمز آخر صادق دقيق على سذاجته ويسره لمعنى سام جليل نحبه ونؤثره وتطمئن إليه نفوسنا اطمئنانا فيه كثير من الدعة والحنان.

فمطبعة المعارف ومكتبتها إنما عنيت بنشر هذه الطبعة وأنفقت فى ذلك ما أنفقت من جهد ومال واحتملت فيه ما احتملت من مشقة وحنان لم تصرفها عنه الحرب ولم تصدها عنه الظروف التى تصد أمثالها عن أمثاله، ووفقت فيه إلى ما وفقت إليه من الإجادة والإتقان.

فعلت هذا كله لسبب يسير ولكنه خطير فهى تريد أن تحتفل بمرور نصف قرن على إنشائها وهى لم تجد إلا هذا العمل العلمى الأدبى الفنى وسيلة إلى هذا الاحتفال، وهى بهذا تحيى ذكرى منشئ المطبعة ومكتبتها فتسجل وفاء الأبناء البررة للأب العطوف.

وهى بهذا تحيى هذا الجهد المتصل الذى أنفق فى غير ضعف ولا ملل أثناء نصف قرن فى نشر العلم وإذاعة الثقافة فى الشرق العربى كله وهى بهذا - آخر الأمر - تحيى هؤلاء القراء أو قل هذه الأجيال من القراء الذين اتصلوا بها منذ نشأت والذين عرفوا العلم والثقافة من طريقها.

تحييهم لأنهم وفوا لها كما وفت لهم وتحييهم لأنهم يثقون بها كما تثق بهم. وهى حين تهدى إليهم هذه التحية الرائعة تنبئهم فى ظرف وخفة بأنها ستمضى فى مستقبل الأيام كما مضت من قبل فى طريقها إلى نشر العلم والأدب والثقافة متوخية ما يجب أن يتوخاه الناشر الأمين من العناية بالدقة العلمية والجمال الفنى والحرص على إرضاء العقل والذوق والشعور جميعا.

وأظن أنى لا أتجاوز إرادة القراء إذا أهديت إلى (مطبعة المعارف ومكتبتها) والى الدكتور عبد الوهاب عزام تحية ملؤها التقدير والإعجاب والأمل.

طه حسين

القاهرة فى ٥ أبريل سنة ١٩٤١م